The North African Journal of Scientific Publishing (NAJSP)
مجلة شمال إفريقيا للنشر العلمي (NAJSP)
EISSN: 2959-4820
Volume 1, Issue 2, April-June 2023, Page No: 224-242
Website: https://najsp.com/index.php/home/index

حرف تطوان: البنية التنظيمية ونماذج من صنائعها خلال الفترة المعاصرة

د. أكدي حسن [1*]، د. أشبون نور الدين[2]
[1]أستاذ باحث في التاريخ الاجتماعي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس، سايس، المغرب
[2]باحث في الجغرافيا الثقافية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بتطوان، المغرب

Tetouan Craft : Organizational Structure and Examples of its Industries during the Contemporary Period

Dr. Hassan Akdi[*1], Dr. Noureddine Achboun[2]
[1]Researcher in social history, Faculty of Arts and Humanities Sais- Fez Morocco
[2]Researcher in cultural geography, Faculty of Letters and Human Sciences, Tetuan, Morocco

[*]Corresponding author	hassan.akdi17@gmail.com	[*]المؤلف المراسل
تاريخ النشر: 2023-05-18	تاريخ القبول: 2023-05-10	تاريخ الاستلام: 2023-04-13

الملخص

احتضنت تطوان عبر تاريخها مجموعة من الصنائع التي كانت ذات أهمية اقتصادية واجتماعية، وقد برع فيها الحرفي التطواني وأسهم في إغناء أشكالها، وأدوارها، ومنتوجاتها بإيجاد تنظيم إداري يحفظ تميزها من كل أنماط التدليس والتفريط والإحاطة بكل أنواعها وطرق مختلف جوانبها يقتضي منا دراسة معمقة، لذلك سنعتمد بمقالنا هذا على متون بعض المصادر التاريخية وما وفره التقصي الميداني للتعريف ببعضها لإبراز درجة التنوع الذي ميزها، وخصوصية نماذج منها في حياة مجتمع تطوان خلال الفترة المعاصرة. لاسيما أنها اليوم تشكل ذاكرة تاريخية وإرثا حضاريا يتطلب تدخل المسؤولين من أجل تثمينها واستثمارها في البرامج التنموية، ومادامت تطوان كحاضرة متوسطية، فإن تناول إرثها التاريخي يستوجب تحفيز الباحث في التاريخ والتراث ليساهم بقوة في إبراز المجتمع التطواني كنموذج يؤمن بالتعددية الثقافية مادام أن صناع حضارتها كانوا ولازالوا من إثنيات عدة: جبالة، الاندلسيين، الريفيين، الزنوج

الكلمات المفتاحية: حاضرة تطوان، الحرف، البنية التنظيمية، إرث حضاري، تعددية ثقافية.

Abstract

Throughout its history, Tétuan has been home to a variety of crafts that were of economic and social importance. Tétuani craftsmen excelled in their trades and contributed to enriching the forms, roles, and products of these crafts. They did so by establishing an administrative system that preserved their distinctiveness from all types of fraud and waste.

A thorough study is required to fully understand and appreciate the different types and aspects of these crafts. In this article, we will rely on some historical sources and field research to introduce some of them and highlight the degree of diversity that characterized them, as well as the particularity of some models of these crafts in the contemporary life of the Tétuan community. Today, they constitute a historical memory

and cultural heritage that requires the intervention of responsible authorities to enhance and invest in development programs.
As Tétuan is a Mediterranean city, studying its historical heritage requires encouraging research in history and heritage to contribute strongly to highlighting the Tétuan community as a model that believes in cultural diversity, especially since the makers of its civilization have been and still belong to several ethnic groups: Jebala, Andalusians, Riffians, Blacks, and more.

Keywords: Angier as a City, Crafts, Organizational Structure, Cultural Heritage, Cultural Diversity.

المقدمة

موضوع الحرف كتراث ثقافي لامادي في تطوان يحتل مساحة مهمة في المجتمع التطواني، فمن معايير قياس درجة تطور مجموعة بشرية هو مدى إنتاجيته وإبداعه في الحرف وفنونها، وهناك مجموعة من المؤشرات تدل على أن مدينة تطوان هي مدينة الفن والفنون الحرفية أبرزها:

- المؤشر الأول: التأثير الأندلسي الثقافي والفني والاجتماعي على المدينة.
- المؤشر الثاني: مراكز التكوين الحرفي العديدة المتواجدة بالمدينة.
- المؤشر الثالث: بناء أول دار الدباغ في المغرب المتخصصة في دباغة الجلود.
- المؤشر الرابع: جمالية المعمار الفنية والهندسية بدور ومرافق المدينة العتيقة.
- المؤشر السادس: توفر بعض المواد الأولية بغزارة إما التي يتم إنتاجها محليا أو الخامة.
- المؤشر السابع: ذوق سكان تطوان وحسهم الفني.
- المؤشر الثامن: صناعة السلاح في تطوان خلال فترات تاريخية سابقة.
- المؤشر الثامن: وجود دار السكة بتطوان خلال القرن الثامن عشر.
- المؤشر العاشر: تواجد اليهود بالمدينة، حيث أن اليهود عرفوا بإتقان عدة حرف فنية.

من جهة أخرى، كشف البحث الميداني الذي قمنا به أن مجال الدراسة يحتوي أنواع كثيرة من الحرف سواء في المدينة العتيقة أو خارجها، علاوة لتلك العشوائية الواضحة في تنظيم الحناطي، الشيء الذي لم يكن من قبل، حيث كانت كل حرفة تتموقع في حي معين أو منطقة ما، وهذا الواقع صعب علينا عملية الجرد والتشخيص، ورغم ذلك كانت نتيجة البحث الميداني ونتيجة تفريغ الاستبيانات دليل واضح على كثرة الأوراش الحرفية وتنوع مثير للحرف التطوانية التي بلغ عددها أكثر من 72 حرفة، صنفناها في 7 سلاسل، بين ما هو خدماتي وإنتاجي.

جدول 1: السلاسل الإنتاجية والخدماتية في الفنون الحرفية بمدينة تطوان

السلسلة	الحرف الفنية
الجلدية	بيع الجلود-الدباغة-تلوين الجلد-تذهيب الجلود-التطريز-البلايغي- الأحذية-صانع البزاطم-صانع الحقائب-صانع الصنادل-الصناديق-الملابس الجلدية-صانع الأحزمة-الديكورات الجلدية-صانع السطورميات-السروج الجلدية-صانع الشربيل والريحية - الطراف-الخراز.
الخشبية	النجارة-الخشب المطعم-تلوين الخشب-النقش على الخشب-النحت على الخشب-تخريط الخشب-صانع الديكورات الخشبية.
المعدنية	الحدادة الفنية-صانع الأواني النحاسية-نقش النحاس-صانع الحلي-نقش الحلي-تشلال الذهب-صانع المضمة.
النسيجية	صناعة الزربية-صناعة المنديل-صناعة السباني-صناعة الجفاف-صناعة الستائر-خياطة الستائر والتلامط-الخياطة التقليدية-الخياطة العصرية-الطرز التطواني-الفاسي-الرباطي-التعجيرة-الرندة-

	تلوين الثوب-الدرازة-المكرامي-صناعة العقاد-صناعة السفيفة-صناعة المجادل-التنبات-الطرز بالمكينة.
النباتية	صناعة الحصير/الصناعات القصبية/صناعة منتوجات الروتان/صناعة الشاشية/صناعة البرداع.
الطينية	صنعة الأواني الفخارية/الزليج التطواني/الجباص/الصباغ /النقش على الجبس/النقش على الحجر/البناء.
الغذائية	العشاب/الطباخ/ة-صانع/ة الحلويات/الطراح/تقطير النباتات العطرية/صناعة الجبن/صانع حلويات التي تباع في باب المدارس من قبيل "حلي" "وزين البنات" .../الحجام/العدالة.

المصدر: عمل الباحث بالاعتماد على البحث الميداني بين سنتي 2019-2021

على أي يتضح أن قضية التنوع الحرفي بتطوان تقتضي بحثا علميا معمقا يتناول أكثر من جانب لفهم تحولاتها وأهميتها في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي عبر فترات تاريخية، لكن سنحاول في هذه المقالة إبراز جانبين من موضوع الحرف كبداية للبحث في تحقيق تراكم حول الحرف التطوانية كتراث ثقافي له أهميته التنموية اليوم.

أهداف البحث

نهدف من خلال هذه الدراسة تحقيق غايتين:

- إبراز تطوان كمجال مغربي متوسطي احتضن عبر فترات تاريخية أوراش حرفية كانت لها أهميتها في الدورة الاقتصادية للمملكة.
- تسليط الضوء على خصوصية التنظيم الذي يميزها، وتناول عبر الوثيقة التاريخية جوانب من حرف وصنائع كانت ذات ثقل في خريطة الحياة الاقتصادية للمجتمع.
- إبراز الدور التنموي للحرف الفنية بمدينة تطوان.

أهمية البحث

مادام اليوم نجد أن العديد من البلدان المتوسطية تراهن على السياحة الثقافية في برامج تنميتها، فإن تطوير الإرث الحضاري والذاكرة التاريخية يشكل محورا مركزيا في ذلك. لهذا فالبحث في الحرف وتطورها بتطوان يرمي إلى جذب اهتمام المسؤولين وغيرهم من أجل تمويل مثل هذه الأبحاث وتوجيهها نحو توظيفها في مشاريع السياحة الهادفة بتطوان كمدينة متوسطية الروافد.

إشكالية البحث

يحاول المقال التطرق إلى إشكالية ذات ثقل في الدراسات التاريخية والجغرافية الثقافية، ذات صلة بذاك الإرث التاريخي -الثقافي المتنوع المشارب، تلعب فيه الحرف وفنونها بتطوان -ماضيا وحاضرا- أهمية، لأنه قطاع اقتصادي تأسس في تشكيليه على ثقافة حرفية وأعراف وتقاليد راسخة في بناء المجتمع الحرفي التطواني. وهذا ما يجعلنا نطرح تساؤلات فرعية عدة منها:

- كيف ينظم الحرفيون قطاعهم في الفترة المعاصرة؟
- ماهي تلك الحرف التي ترتبط بالمجتمع التطواني خلال الفترة المعاصرة؟
- أين تتجلى الأهمية الاقتصادية لهذه الحرف داخل تراب مدينة تطوان؟

اقتضت عملية التحليل لهذه الاشكالية تبني المنهج التاريخي المرتكز على المصادر التاريخية بهدف تركيب معطياتها وتأويلها فيما تقتضيه وتتطلبه محاور البحث، والمنهج التحليلي مع توظيف التقصي الميداني لتدقيق معطى وتحقيق الموضوعية وملء بياض أغفلته متون المصادر قد يرتبط بحدث أو وظاهرة.

أولا: البنية التنظيمية للحرف التطوانية

لا شك أن حرفيي تطاون تجمعوا في أحياء وأماكن خاصة تحمل أسماء صناعتهم، كالطرافين لكونها كانت تختص بأصحاب هذه الحرفة وغالبيتهم يهود، والقصدارين والحدادين والنيارين حيث كان مقر لصناعة الأسلحة، وزنقة دار البومبة حيث محل صنع القذائف الفارغة والخرازين والصياغيين وغيرها، وهذا إن دل فإنه يدل على مظهر من مظاهر التنظيمات الحرفية بالمدينة. فما المقصود بالتنظيم الحرفي؟

تشير فاطمة العيساوي في تقصيها للمفهوم إلى أن الحرفيين كانوا منتظمين ضمن طوائف حرفية يطلق عليها في الوثائق بـأهل الطرقة[1] واصطلاحا تعرف بـالحنطات* والمقصود بها مجموع المعلمين والعمال والمتعلمين الذين يمارسون حرفة واحدة، صناعية كانت أم تجارية لهم نظامهم الخاص بهم[2]، وقد صاغ أحد المستشرقين الفرنسيين لويس ماسينيون (*Massignon*) تعريفا لها بكونها مؤسسة نقابية، تقوم بتنظيم الحرفة وحفظ أسرارها وتثبيت أسعار عادلة للمنتوجات الصناعية والحفاظ على مستوى الصناعة البشرية، ويجتمع داخل كل حنطة مجموعة من المنتجين يتنافسون فيما بينهم وذلك للحصول على إنتاج جيد و وافر. ويستعين كل معلم داخل دكانه بمعلم أو أكثر حسب طبيعة الحرفة، ويصبح هذا المتعلم معلما، وحينها يمكنه فتح محل خاص به إذا توفرت له الأموال اللازمة لكراء المحل أو شرائه وتزويده بالأدوات الضرورية، وذلك بعد منحه رخصة كتابية أو شفوية من أمين الحرفة وموافقة المحتسب. ولم يكن إتقان الصنعة والتوفر على موضوع العمل كافيا لانخراط العضو الجديد في حنطة ما، ولكن يراعى أيضا، عدد أعضائها وحجم إنتاج أصحابها، ضمانا لحصانتها وعدم كساد بضاعتها، وتحسبا لحدوث خلل في عملية العرض والطلب، مما تكون له أثار سلبية على أصحاب الحنطة[3]. في حين ذكرت فاطمة العيساوي أن موريس لُمبار (*MAURICE LOMBARD*) عرفها بأنها: «تجمع ضيق وعبارة عن زاوية بتعاليمها وأسرارها ورؤسائها (المعلمين) ومجالسها المكونة من هؤلاء الرؤساء، وبمذهبها الصوفي والاجتماعي في نفس الوقت»[4]. وفي نفس السياق استعرض مصطفى الزغول في دراسته[5]، فهم بروفنصال للحنطة حيث أكد على أن: «أساسها عقد تأسيسي يحدده العرف، ويسلم به الداخلون في الجماعة، ويقسمون على احترامه». في حين وأثناء نقاشه وتحليله لقضية استثمار المجال الحضري حاول أحد الباحثين من خلال أطروحته تقديم تعريف للحنطة قائلا: هي «تحالف يضم جملة من الملاكين تجمعهم مصالح مشتركة متأتية من وحدة مصدر العيش، كل عنصر في الحنطة مستقل في حدود ما يملك شرط التزامه بضوابط حنطته»[6].

على أي تظل الحنطة مؤسسة ذات بعد إقتصادي مهني قديم بالمغرب قد انتقلت إليه من الشرق الإسلامي في الغالب عن طريق الأندلس[7]. ولئن كانت الحناطي بالمدينة، تجمع مبدئيا كل الأشخاص الذين يزاولون مهنتهم بفضاء المدينة فلابد من التأكيد أولا على أن: النساء لم تكن لهن طوائف حرفية رغم ممارسة عدد منهن بعض الحرف المرتبطة بتزيين العرائس أو تطريز الثياب، كذلك أن بعض المهن

---

[1] - رسالة من عامل تازة إلى عبد الله بن أحمد، في 12 ربيع الأول 1295 ه / 7 أبريل 1876 بـالخزانة الحسنية بالرباط، محفظة 20/ 12607 أوردتها، العيساوي، فاطمة (1989)، جوانب من علاقات المخزن بالحرف 1822-1894. الرباط: جامعة محمد الخامس، د. د. ع في التاريخ غير منشور، ص.7.

* الحنطة، جمع حنطات، هي تجمع لأصحاب الحرفة الواحدة داخل سوق أو فندق أو حي، يحمل إسم الحرفة، وتخضع هذه الحنطات في تسييرها لأعراف وتقاليد متعارفة عند الحرفيين أكثر منها ضوابط مدققة ومدونة. عن، المعلم أحمد التجكاني، خياط بالطرافين.

[2] -(R), PROSPER (1924), *« Artisans marocains »* , in bulletin de l'enseignement public du Maroc, N 50, 11éme année, Paris: Librairie Emile Larose, p. 184.

[3] -(R) , MASSIGNON(1925), *Enquêtes sur les corporations nusulmanes d'artisans et de commerçants au Maroc, Extraits de la ruve du monde muslman.* Paris: *Edition Emest*, le roux, p. 100.

[4] - فاطمة العيساوي، المرجع السابق، ص. 7.

[5]- الزغول، مصطفى (1994)، الحرف والصناعات في الأندلس منذ الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة. الأردن: الجامعة الأردنية ماجيستر في التاريخ، غير منشور، ص. 214.

[6]- المحمدي، على (1998)، المخزن والنظام، 1830-1894. الرباط: جامعة محمد الخامس، أطروحة في التاريخ غير منشورة، ص. 17.

[7] - العيساوي، فاطمة، المرجع السابق، ص. 80.

الهامشية كالسمسرة، الزبالين، الحمالين بالأبدان وغيرها، لم تكن لهم تنظيمات تمثلهم، علاوة على أن الموظفين المخزنيين بالمدينة لم يكن لهم الحق في الانخراط ضمن هذه الحنطات الحرفية.

على العموم يمكن القول أن الحنطة أو الطائفة الحرفية هي بناء اجتماعي واقتصادي أهلي أشبه بالتنظيمات النقابية الحالية، كانت تضم بين عضويتها كل العاملين في حرفة من الحرف بمستوياتهم المختلفة، وهو شكل اجتماعي مديني في الأغلب، عرفته مدن وبلدان العالم المتحضر منذ القرون الوسطى[8].

مما سبق نؤكد أنه على عادة المدن الإسلامية، عرفت مدينة تطوان نظام الحنطات[9] التي كانت تخضع لتسلسل إدراي هرمي من أعلى إلى أسفل يحترم أدوار جميع المتدخلين في القطاع الحرفي، إذ توزع ملاك الحنطة للاستفادة من الخبرة المقصورة عليهم كان مرتبطا بملكية وحدة الإنتاج أو وحدات الإنتاج. ولا مجال لاكتساب هذا الحق دون التوفر على شرط الوراثة، أو قدر من المال لامتلاك حق المشاركة في استثمار الحرية المقصورة على أعضاء الحنطة[10]. فكان أهم تلك العناصر المنظمة كآلاتي:

جدول 2: مسؤولو التنظيم واختصاصاتهم ضمن البنية التنظيمية الحرفية بالمدينة

الأمين[11]	المشاركة في تحديد الأجور وأسعار السلع. الفصل في النزاعات بين أفراد الطائفة الواحدة. مراقبة الحرفيين وضمان الجودة. التدخل لدى المخزن دفاعا عن مصالح الحرفيين الذين كانوا يشكون، في أحيان كثيرة من الضرائب المرتفعة، حتى أن الأمين كان عليه أن يتوفر في هذا الدور على كثير من الحكمة والتبصر، وأن يدافع على زملائه دون أن يصطدم مع المخزن[12]. الحرص على تعليم المهنة للصبية وتحديد علاقتهم بمعلميهم.
المعلم[13]	«كان يملك الخبرة ووسائل الإنتاج، ويعمل في دكانه مشغلا معه عدداً من المساعدين»[14].

[8] - لقبايبي، محمد توفيق (2020)، حرف الماء في تاريخ المغرب، بين التأصيل والتجديد. دراسة في تاريخ نماذج من الحرف المائية. ط1، مراكش: مؤسسة آفاق للدراسات والنشر والاتصال، المطبعة والوراقة الوطنية ، صص. 26-27.

[9]- العيساوي، فاطمة، المرجع السابق، ص.49.

[10]- المحمدي، علي، المرجع السابق، ص. 17.

[11]- أطلقت على هذا المنصب المهني عدة مصطلحات بالمشرق والمغرب في حقبتي القرن 18 و19 من قبيل: كبير الحرفة، رئيس الحرفة، كاهية بالمجال العثماني، الشيخ، عريف ...، أنظر، غطاس، عائشة(2001)، الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر 1700 – 1830، مقاربة اجتماعية – اقتصادية. الجزائر: جامعة الجزائر، دكتوراه دولة في التاريخ الحديث غير منشورة. ص.189. ويعرف بكونه «الشخص الذي يعهد إليه زملاؤه المعلمون برئاسة الحنطة أو طائفة معينة وليمثلهم لدى المخزن، وفي الغالب يعتبر أقدم وأمهر معلم في ممارسة حرفة محددة...وكان تعيين شيخ الحرفة أو الطائفة يتم إما بالاختيار أو الانتخاب، حيث يتم اختياره من طرف الجماعة التي تقدمه للمحتسب أو القاضي، فيتولى هذا الأخير مهمة قبوله وتعيينه بصفة نهائية». حرف الماء في تاريخ...، مرجع سابق، ص. 36.

[12] - حرف الماء في تاريخ...، مرجع سابق، ص. 38.

[13] - في تصفحنا لمصادر ووثائق عديدة ورد هذا اللقب بشكل ملفت غير أننا لم نعثر على معطيات وافية حول كيفية ترقي الفرد الحرفي إلى مرتبة المعلم. ويعرف بكونه ذاك« الشخص الذي يبلغ ذروة المهارة والإتقان في عمله وأكثر دراية بدقائق الحرفة وأصبح له الحق في أن يسقل بعمل خاص». أنظر، حرف الماء...، مرجع سابق، ص. 34.

[14] - جوانب من علاقة...، مرجع سابق، ص.8، ويشار أنه مادام صاحب أدوات العمل فقد كان المسؤول عن توزيع العمل وإليه يرجع شراء وبيع السلع.

الصانع[15]	وهو الذي يحسن الصنعة، لكنه غير مؤهل للإستقلال بنفسه، على اعتبار عدم توفره على الإمكانيات الكفيلة بذلك أو تنتظر إجازة من مجلس الحنطة للترخيص له بافتتاح ورشة خاصة به، وأمام هذا الوضع يظل خاضعاً للمعلم[16]. وفي الغالب إذا أراد الترقي لدرجة معلم فلاب أن يتقن عملا يوافق عليه المعلمون وأمين الحرفة...ولا يحصل على ذلك إلا بعد جهد جهيد وصراع مرير مع بعض السلبيات التي اجترها التنظيم الحرفي لعقود طويلة[17].
المتعلم	**«هو الذي كان يعمل مع المعلم ولكنه مازال في مرحلة التكوين من أجل إكساب الحرفة»[18]، أي عنصر مبتدئ بالصنعة ويأتي في أسفل السلم الإداري للهرم ولا يرقى إلا بعد إتقانه الصنعة.** **وقد كان عرضة للاستغلال حيث عانى المبتدئ من ثقل الجهد الموكول إليه نتيجة لاستغلال معلميه له بشكل قاس ومهين، خاصة إذا كان يتيما لا ولي له، كما كان آخر من يعلم أسرار الحرفة[19].**

المصدر: عمل الباحث بالاعتماد على البحث البيبليوغرافي بين سنتي 2019-2021

بوجه عام فإن هذا التنظيم الحرفي بالمدينة حيث تحمل بعض الزنقات والحومات أسماء طوائف الحرفيين مثل: الخرازين والعطارين والحدادين وغير ذلك[20] شكلت صمام أمان للحنطة، لتبقى مختلف العمليات الإنتاجية رائجة تسهم في تغذية النشاط التجاري من جهة، وتوفير دخل لأسر المدينة ومؤسساتها الفندقية من جهة أخرى. كما أن وجود نظام تقليدي ميز الحنطة ظل حبيس أعراف متوارثة منذ قرون أي منذ الهجرات الأندلسية للمدينة، بل شكل إطاراً مهنياً نجح إلى حد ما في مواجهة عدة جهات أكانت مخزنية[21] أو غيرها، بما يعني أن دورها كان حاسماً في الحفاظ على الحرف من أي اختلالات قد تعصف بها، أو بصيغة أخرى أن القاعدة العامة هي لكل حرفة مجالا ترابيا معلوم، يتشكل من مجموعة من الوحدات لإنتاج أو لترويج ما من حقها إنتاجه أو مبادلته، فقد كان كل نشاط اقتصادي يقع تحت مراقبة عناصر تحتل الصدارة بين العناصر المكونة لجماعتها، وهم الذين يختارون من بينهم أمينا يتولى تمثيل جماعتهم والدفاع عن مصالحها، وتقديم الخبرة التي يتوقف عليها المخزن للحسم في نزاعات تكون الجماعة طرفا فيها كليا أم جزئيا[22]. غير أن التدخل الأجنبي كانت له عواقب وخيمة إذ أسهم في إحداث شرخ وتفسخ في

---

[15] - يقصد به ذاك «العامل الأجير يمارس عمله لحساب الغير لقاء أجور محددة يتقاضاها ممن استأجره، كما كان يشترط عند استئجاره تحديد الأجرة والوقت حتى لا تنشب خلافات بين الطرفين». حرف الماء.... مرجع سابق، ص. 32.

[16] - فتحة، محمد (1985)، «جوانب من الحياة الاقتصادية المغربية خلال العصر المريني»، الدار البيضاء: مجلة، حوليات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ع 2، 1985، ص. 151.

[17] - حرف الماء...، مرجع سابق، ص. 33.

[18]- جوانب من علاقة...، مرجع سابق، ص.9. ويشار هنا حسب بوعسرية، بوشتة أن: «إتقان الصنعة لم يكن كافياً لانخراط عضو جديد بحنطة ما، بل لابد من مراعاة عدد الأعضاء وكمية الإنتاج، ضماناً لحصانتها، وعدم كساد بضاعتها.« أنظر دراسته، مكناس وأحوازها 1900 – 1939(2005)، الاقتصاد، المجتمع، التنظيم الإداري، تنسيق ومراجعة محمد الشريف، منشورات وزارة الثقافة، مطبعة دار المناهل، ص. 161.

[19] - حرف الماء...، مرجع سابق، ص. 31.

[20] - السعود، عبد العزيز (1996)، تطوان خلال القرن التاسع عشر ...، مرجع سابق، ص.33.

[21] - كان للحسبة ضمن هذا التنظيم الإداري أدوار أساسية على مستوى تدبير القطاع الحرفي، فإن كان دورها يأتي بالمرتبة الثالثة بعد القائد والقاضي فقد وفر المخزن لها قواعد من الشرع والأعراف والظهائر السلطانية والممارسات المهنية تضمن فعاليتها فيما يخص قطاع الحرف ومزاولوها تنظيما ومراقبة، وإن كان ذلك لا يتم إلا بالاستعانة بالأمين. وأهم وظائفها هنا مواجهة المدلسين والغشاشين، عبر فرض عدة ذعائر وعقوبات على المخالفات المتعلقة بالأثمان والتجارة والاحتكار سواء بالجلد أو الغرامة أو السجن.
أنظر، الفاسي، عبد الإله (بدون تاريخ نشر)، «تحولات الحياة الاقتصادية بمدينة الرباط بعد فرض الحماية 1912-1918» ندوة، وقفات في تاريخ المغرب، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، سلسلة بحوث وندوات رقم 27، ص. 224.

[22]- المخزن والنظام...، مصدر سابق، ص. 18. وهذا التنظيم واضح ويتمظهر في بنيته ضمن كل حرفة أو صنعة فجولي حينما يتحدث عن صناعة الجلد بتطوان كالدباغة فهو يضع لنا تراتبية تشكلت في بنيتها من العناصر الحرفية التالية:

البنية. فخلال حرب الستين (1860م) وبعدها بدأ يظهر ميل نحو التشتت تدريجيا[23]، إذ لم يعودوا مجتمعين بشكل منظم داخل أحيائهم الحرفية بالمدينة وهذا راجع لأسباب منها: استقرار التجار الأجانب بالمدينة والذين أحدثوا مراكز اجتذاب متميزة دفعت الحرفيين والصناع إلى نقل معاملهم قرب تلك المراكز، وضعف الروابط التقليدية لدى الحناطي بسبب تسرب الأفكار الجديدة بفعل تأثير الإنسان الأوربي والدخول معه في علاقات. ثم كذلك احتماء العنصر اليهودي وخروجه من الملاح حيث كان ذلك نزيفاً للقطاع مهارياً وماليا[24]، والحقيقة نفسها يؤكدها جولي في دراسته[25].

كما نخلص إلى خاصيات يبدو أنها ميزت النظام الداخلي للطائفة الحرفية بالمجال التطواني كمشترك في غالبية مدن المغرب أنذاك، ومنها باختصار الأتي:

- لم تكن ضوابط الحنطة مكتوبة، حيث ظلت تقليدية ومعروفة في الوسط الحرفي وبين كافة عناصر الحنطة.
- اتسمت العلاقة بين مختلف مراكز الحنطة بالحرية، ولو أنها لم تستثمر بالصورة المطلوبة.
- كانت تربط بين المجموعات الثلاث، المعلمين، والصناع والمبتدئون علاقات عاطفية وثيقة كتلك التي تجمع بين أفراد الأسرة الواحدة، فكان بناء شخصية كل عضو ثابتا، آمنا ومتكاملا.
- لم تكن طريق الانتماء إلى حنطة معينة تخضع لإجراءات أو قواعد قانونية، فلكي يصبح شخص ما ضمن طائفة القوادسية مثلا، يكفي أن تكون للراغب في ذلك ميول نحو هذه الحرفة، نظرا لأن عدد المنتسبين لها قليل جدا ولأن الحرفة محتقرة[26].

ثانيا: الصناعات التطوانية المرتبطة بالمعادن

توفر المجال التطواني على بعض المعادن، حيث احتضنت عدة نواحي منه أنواعا كانت لها أهميتها في الميادين الحرفية[27]. فخلال عهد مولاي عبد الرحمان اكتشفت عدة معادن خصوصاً بحوز تطوان. ففي سنة 1263ه /1845م اكتشف معدن القزدير والنحاس بنفس المنطقة، وفي السنة التالية رفع أشعاش إلى السلطان رغبة تجار تطوان في الإذن باستخراج معادن النحاس والرصاص وغيرها التي بحوز بلدتهم فمنحه ظهيراً بإسم التاجرين الجامع محمد الرزيني والحاج العربي العطار، ولكن بشروط منها: أن يعطوا من كل معدن يستخرجونه الثلث، ويؤدون عن وسقه ثلاث أواقي ونصف أوقية للقنطار صاكة مدة عشرة أعوام. لكن هذا التعاقد إستثنى معدنا الذهب والفضة، إضافة إلى حق التاجرين في أن يشركا من أراد في

• المعلم (الدبايغي): مهمته التوجيه والمراقبة، ويتوفر في الغالب على كفاءات عالية عبرها يتم ضمان سير النشاط والإنتاج، والمؤهل الوحيد في تحديد معايير الجودة، والفيصل في التحكيم بين الحرفيين في حالات ما.

• الصناع. في إطار الدباغة فمهتهم تقتضي القيام بإنتاج السلعة عبر (الركل، الصباغة، التقشير، الغسل...)، ويظل خاضعا لتوجيهات المعلم.

• المتعلم الكبير: يساعد المعلم والصانع، ويحضى بشرف القيام ببعض عمليات أو مراحل إنتاج السلعة مثل وضع الشب بالجلد.

• المتعلم الصغير: على عاتقه تقوم بعض العمليات التحضرية والأولية لإنتاج السلعة مثل تغيير ماء الحوض، غسل الجلد وإخراجه، ...

-Joly, A(1906), *l'industrie à Tétouan*. Paris: Archives Marocaines, V 08. pp. 239-240.

[23] - المخزن والنظام...، مر جع سابق، ص. 18.

[24] - المخزن والنظام...، مرجع سابق، ص.33 -34

[25] - *l'industrie à Tètouan*. A M, Op. cit. pp .200.

[26] - حرف الماء...، مرجع سابق، صص. 39-40.

[27] - ورودت عدة رسائل وظهائر بمؤلف بن الصغير، خالد (2009)، المغرب في الأرشيف البريطاني، مراسلات جون دراموند هاي مع المخزن، 1846 -1886، ط2، الرباط: دار أبي رقراق للطباعة والنشر. خاصة الوثائق رقم: 3 – 4 – 7-8 – 10-395 – 396-401 -420.

عمليات هذا الاستغلال[28].

ودونما شك فإن جزء من هذا الإنتاج المعدني خصص للصنائع التالية:

1. نماذج للصناعات العسكرية

يشير الدون فرناندو في مشاهداته بأحياء المدينة وخاصة حينما وصل للنيارين قائلا: « ذهبت لمكان صناعة الأسلحة النارية، هنا في المغرب يفتقدون أمرا مهما يعتمد عليه بأوربا، ألا وهو تقسيم العمل، فهنا بتطوان تتكلف كل دار أسلحة بصناعة جزء من السلاح. فهناك دار تصنع المدافع وأخرى العربات الحربية والمدافع والمسدسات وغيرها»[29]. فما هي إذن بعض الصناعات العسكرية التي توطنت بالمدينة؟

1.1-صناعة البارود

نشطت بالمدينة عهد مولاي عبد الرحمان[30] « وبعد فقد سرحنا خدمة البارود لمن أرادها، فاليخدمه من شاء لنفسه أو بقصد البيع، فإنما كنا ثقفناه سدا لباب الفتنة والفساد، كما سرحنا لهم خدمة معدنه»[31]، حيث توفرت للمدينة كميات هائلة من الكبريت لكنها راجت فقط خلال مرحلة الاستعداد لحرب تطوان وبعدها توقفت إلى حدود النصف الأول من عهد الحسن الأول عندما كتب مجموعة من أعيان المدينة إلى الوزير الجامعي يلتمسون منه إحياء صناعة البارود «بهذا الثغر المعين لباب الجهاد» « لأن هناك معلمون يقدرون يصنعونه مثل العمال (كذا) الرومي »[32]، بل حينما نتفحص بعض الوثائق نجد أن المخزن قد بذل جهودا من أجل الحفاظ على مثل هاته الصناعة، إذ سخر آنذاك مجموعة من التجار لكي يستوردوا من أوربا مادة البارود وغيرها ترتبط بالسلاح كالكارية، القشينة ...، ومن أهم تلك البؤر الأوربية يذكر جبل طارق « فقد بلغنا أن قشينية كثيرة بجبل طارق، وكذلك الكارية والبارود، والتجار بذممهم مال كثير للمرسى، فبوصول كتابنا هذا إليك، كلفهم بجلب ما ذكر»[33]. ومادامت تطوان كانت دار رباط وجهاد ضد الأجانب المحتلين للثغور فداود يشير إلى أنها احتضنت صناعة البنب، الذي يعود الفضل في إتقانه من خلال إرسال السلطان العثماني من القسطنطينية لخبراء عثامنة علموا المغاربة بتطوان مند عهد محمد الثالث[34].

2.1-صناعة المكاحل

لم يكن إنتاج المكاحل يتم من طرف حرفة واحدة، بل كان يساهم فيه ثلاثة أصناف من الحرفيين:

الزنايدية: كانوا يقومون بصنع الزنادات من حديد بوراس.

---

[28] - رسالة سلطانية إلى القائد عبد القادر أشعاش، في 7 جمادى الأولى 1264هـ /11 أبريل 1848. مح 5/8 وردت عند العيساوي، فاطمة، جوانب من علاقة...، مرجع سابق، ص. 329.

[29]- Don Fernando Amor (1859), *Recuerdos de un viaje a Marruecos*, Sevilla: Imprenta de Andalucia. P. 362.

[30] - جوانب من علاقة...، المرجع، السابق، ص. 40.

[31] - رسالة سلطانية للقائد محمد أشعاش، بتاريخ منتصف جمادى الثانية 1260ه/1844، داود محمد(2016)، التكملة ذيل لكتاب تاريخ تطوان في خطط المدينة وسكانها وحياتها الاجتماعية. مراجعة وتحقيق وإضافات، حسناء داود، منشورات جمعية تطاون أسمير، ط1، تطوان: مطبعة الخليج العربي، ص.516.

[32] - رسالة من المختار الرغاي، محمد بناني الفاسي، عبد السلام بن الجيلالي الأوديي وإدريس بن عبد الواحد الفاسي إلى الوزير الجامعي، في 10 ربيع الثاني 1301ه / 8 فبراير 1884، مح 51، وردت ب، علاقة من جوانب...، المرجع السابق، ص.40.

[33] - رسالة سلطانية إلى القائد محمد أشعاش، بتاريخ 17 جمادى الأولى 1260 ه/ 28 ماي 1844م، داود محمد (2013)، تاريخ تطوان، مراجعة وتصحيح حسناء داود، منشورات مؤسسة محمد داود للتاريخ والثقافة، المغرب: مطبعة دار أبي رقراق للطباعة والنشر، مج 9، ص.35.

[34]- التكملة، مصدر سابق، ص.516.

الجعابيبة: كانوا ينتجون جعاب المكاحل من الحديد الرطب المستورد[35]. وقد أشارت إحدى المراسلات سنة 1263 هـ، بأن تطوان توفر لها آنذاك ست وستين مختصا في تصنيعها «عندك هناك من المعلمين المعتمدين في تلك الصناعة ستة وستين قائمين بخدمتهم»[36].

السرايرية: يقومون بصناعة القناة الخشبية التي تركب فيها الجعبة[37].

ويظهر أن إنتاجها لم يكن بأعداد كبيرة عهد مولاي عبد الرحمان حيث تفيد إحدى الوثائق أن الواحد منهم لم يكن إنتاجه يتجاوز سبع مكاحل في الشهر[38]، لكن في منتصف العهد الرحماني فرض المخزن على المعلمين تزويده بـ 100 مكحلة في الشهر ويسمى ذلك بـ «الطريحة»[39]. وعدت البندقية المصنعة بتطوان ذات مطلب من طرف المخزن بشكل كبير «وجه ما تحت يديك من العدة التي تصنع بتطوان لولدنا سيدي محمد»[40]. وقد حاولت المدينة بما توفر لها خلال العهد الرحماني أن توفر الإنتاج من البنادق بشكل كاف « أن يصنع على سعة ستمائة مكحلة مستعملة مثل التي تصنع ثمة لجانبنا العالي بالله عن كل شهر،...أردنا أن نجعل ذلك بدل مكاحيل محبسة على ثغر سلا والرباط استسلفناها قبل، والمراد بإعمالها هنا نفع المعلمين وإحياء صنعتهم فلذلك لم نبعث عليها من بر النصرى »[41] مع الحرص بأن تتميز بمواصفات جودة وإتقان يجعلها ذات علامة مميزة في الصناعة العسكرية مقارنة بمناطق أخرى وهو ما يفهم من خلال الوثيقة التالية: « على شأن ما ظهر لك من طبع العدة التي تصنع على يدك على الجعبة لا على ذنب الكلاطة كما كتبنا لك بعد تجريبها بالبارود لأجل ما يقع في الكلاطة من التبديل فذلك أظبط وأتقن »[42]. وأبرز الأنواع التي كانت تصنع بتطوان «مكاحل بوشفار ومكاحل بوحية، وكانت كلاهما تعرف بإسم زيدانة، كان أنواع أخرى أوربية مثل بوحفرة وبوزكروم والرباعية الفرنسية، والخماسية الإسبانية، والعشارية الإنجليزية، والطناشية والسطاشية الألمانية»[43].

غير أن تحكم ظروف مستجدة ستدفع المخزن مرغما إلى تزويد نفسه بالبنادق المنتجة بالغرب.

3.1-صناعة لوازم المدافع[44]

بعد احتلال الجزائر ولجوء بعض سكانها إلى المغرب كتب السلطان لأشعاش بما بلغ من «أن أهل الجزائر فيهم البحرية والطبجية والعارفون بصنعة البنبة والكورة والمدافع والمهار، فاختبرهم وأضف كل

---

35 - جوانب من علاقة...، مرجع سابق، ص.43.

36- رسالة سلطانية إلى عبد القادر أشعاش، بتاريخ 22 ذي الحجة 1263ه/ 23 نوفمبر 1847م، تاريخ تطوان، مصدر سابق، مج 9، ص.275. ومن الميزات التي خصت بها مكاحل تطوان أنها كانت لها طابع يميزها مع وضع تاريخ الصنع. وهو ما تشير له إحدى الوثائق لسنة 1259 ه/ 1843م، أنظر، تاريخ تطوان، مصدر سابق، مج 8، ص.356.

37 - الشابي، مصطفى (2008)، الجيش المغربي في القرن التاسع عشر، 1830-1912. ط1، مراكش: المطبعة والوراقة الوطنية، ص. 344.

38 - رسالة سلطانية إلى القائد أشعاش، في 15 رجب 1244 ه/ 21 يناير 1829. مح1/5. وردت ب، جوانب من...، مرجع سابق، ص.44.

39 - «وصلتنا المكحلة التي وجهت مشطرة من المائة مكحلة الطرايحية واخترناها ... ونأمرك أن تحزم المعلمين في خدمتها، واجتهد في الوقوف عليها حتى لا تؤخر شيئاً من طريحة الشهر إلى شهر بعده. ». رسالة سلطانية أوردها العساوي، عبد الرزاق، أعيان تطوان...، مر جع سابق، ص.48.

40- رسالة سلطانية إلى القائد عبد القادر أشعاش، بتاريخ 7شعبان 1262ه/ 24 يوليوز 1846م، تاريخ تطوان، مصدر سابق، مج 9، ص.238.

41- رسالة سلطانية إلى القائد محمد أشعاش، بتاريخ 30 ربيع الأول 1248/ 20 غشت 1832م، تاريخ تطوان، مصدر سابق، مج 8، ص.248.

42- رسالة سلطانية إلى نفس القائد، بتاريخ 23 جمادى الأولى1259 ه/ 15 يونيو 1843م، تاريخ تطوان، مصدر سابق، مج 8، ص.359.

43- التكملة، مصدر سابق، ص.517.

44 - يؤكد أحد الدارسين الإسبان أن المولى إسماعيل هو الذي أسس هذه الصناعة بالمدينة، لكن همشت لحدود عهد محمد الثالث الذي قام بتحديثها من جديد، بعدما تم استرجاع عدة ثغور محتلة، لتصبح تعرف بدار البومبة. أنظر:

~ R. Lourido Díaz (1972) , «*Una Fábrica de cañones en Tetuán, a mediados del siglo XVIII*» , Madrid: en Rivsta de Histori Militar, 33, pp.105-115.

فريق إلى فريق إلى أهل خطته وأعلمنا بهم فإنهم إن أهملوا بقوا عرضة للضياع »[45]

فالأمر الثابت من الوثيقة أن صنع مستلزمات هذه الآلة العسكرية كان موجوداً بالمغرب مثل الكور المشار إليه، والذي كان يصنع بتطوان خلال عهد المولى عبد الرحمان[46]. فالموقع الاستراتيجي للمدينة التي كانت تجاور بلدان أوربا جعلها تقبل على تحصين نفسها من خلال تنويع تصنيع المواد الحربية للمواجهة في حالة الاعتداءات من طرف الاعداء فكانت القنابل إحداها وهو ما يتضح هنا عبر متن الوثيقة «وجه ثلاثمائة من البنب فرقة خمسة وأربعين بما ينوبها من الطاك والحربي عزما»[47].

وتجدر الإشارة إلى أن هذا النوع من الحرف العسكرية بالمدينة أسهم في ازدهار صنائع أخرى عسكرية ارتبطت بها من قبيل سروج الخيل أو البغال، الخزايين، الكراريط (عربات تحمل عليها المدافع والكور...)، غير أن هذا الازدهار كان محدودا، إذ سيظطر المغرب ولمرات اللجوء إلى عمليات الاستيراد للسلاح من أوربا وبكميات مهمة وتخصيص ميزانيات ثقيلة لها، وهو ما يبرز هنا « وبعد فقد كنا أمرنا خديمنا الحاج حد جسوس بشراء عدة وتوافل وأشفار، وقد فعل، ووجب له في ثمن الجميع ومصاريفه ألفا ريال بالثثنية وسبعمائة ريال وتسعة ريال وثلاثة أرباعه »[48]. والاعتماد على أوربا في تموين البلاد والصناع بتطوان لتصنيع مواد عسكرية أحيانا، أو بسلاح أوربي متطور كانت عملية غير مضمونة، لقلة خبرة بعض المكلفين بعقد مثل هاته الصفقات، مما أسهم في ضياع ميزانيات مهمة، وهو ما يتضح هنا « فالعدة التي أمرناك بتوجيهها لتطوان لتسرسر، فقد جرب خديمنا صندوقا منها داخله خمسون فتكسر منها سبع عشرة، وها قطع منها تصلك، مثل الكاغد لا تصلح لشئ، ... وها كذا يقع فيما يكلف به من لا معرفة له، والخلف على الله فيما دفع فيها، وقد ذكر المعلمون أنها لاتزداد مع الخدمة إلا فسادا»[49]، غير أن إكراهات المرحلة دفعت رغم ذلك السلطان إلى شراء حاجياته من الغرب، خصوصا وأن مثل تطوان وغيرها من المدن المراسي تحتاج إلى التحصين العسكري، بحكم انفتاحها على البحر أو قربها من أوربا المتطلعة إلى الاستعمار، ولعل هذا النهج يتبين من كثرة طلبه من خدامه للعمل على إيجاد خبراء وأموال ورصد للاحتياجات ذات الأولوية للعمل على استيراد العتاد الذي لابد منه كالمدافع « وقد أمرنا أن يشتري من المدافيع قدر ما فضل في يد فورط من المال الذي دفع للصبنيول وهو نحو سبعة الف ريال»[50].

---

[45] - رسالة سلطانية، بتاريخ 3 جمادى الأولى 1246ه/ 20 أكتوبر 1830 مح،1/5، وردت ب، جوانب من علاقة...، مرجع سابق، ص.93.

[46] - جوانب من علاقة...، مرجع سابق، ص.94.

[47]- رسالة سلطانية إلى القائدمحمد أشعاش، بتاريخ 13 جمادى الأولى 1247ه/ 12 أكتوبر 1830م، تاريخ تطوان، مصدر سابق، مج 8، ص.226.

[48]- رسالة سلطانية إلى عبد الرحمان جسوس، بتاريخ 17 رجب 1260 ه/ 26 يونيو 1844م، تاريخ تطوان، مصدر سابق، مج 9، ص.59.

[49]- رسالة سلطانية إلى والي طنجة، بتاريخ 21 جمادى الثانية 1260ه/ 30 يونيو 1844م، تاريخ تطوان، مصدر سابق، مج 9، ص.49.

[50]- رسالة سلطانية إلى القائد عبد القادر أشعاش، بتاريخ 23 صفر 1279ه/ 12 غشت 1862م، تاريخ تطوان، مصدر سابق ، مج 6، ص.12. في نفس الوقت عمل المخزن على تأطير موارد بشرية ترتبط بمهن عسكرية تمكنه من تأليف قوات نظامية بالمدينة تساعده على مجابهة التحديات الأمنية، وفرض النظام بالمجال التطواني فكان الرماة إحدى تلك الفئات «...إن قائد تطوان السيد محمد أشعاش، كان يلزم أهل كل حومة، بإتخاد طائفة من ولدانهم السلاح، والتدريب على الرمي به، ليكونوا على أهبة عند الاحتياج إليهم...». أنظر، التكملة، مصدر سابق، ص340.

وفيما يخص عمليات استيراد الأسلحة من أوربا يرجع إلى مقال: البيغيال، محمد، «صفقات استيراد الأسلحة في عهد الحسن الأول من خلال كناش شؤون الجيش: شراء العدة، وتعاقد الحكومة المغربية مع حكومتي بلجيكا و إنجلترا في هذا الشأن، مع صور لآلات صناعية مختلفة، 1302ه» ضمن، ندوة، الأسلحة في تاريخ المغرب. تنسيق عبد القادر آيت الغازي، مختبر التاريخ والمجال في المغرب والعالم المتوسطي، بني ملال: منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، سلسلة ندوات رقم 11.

2. نماذج من الصناعات المعدنية – المدنية

1.2-صناعة سك النقود (العملة) [51]

في بداية القرن التاسع عشر نجد مولاي سليمان يوجه إلى عامله عبد الرحمان أشعاش إرشادات حول طريقة صنع نقود نحاسية بتطوان، ويأمره بالتقليل من نسبة الرصاص في النحاس بجعل أوقيتين «من الرصاص في كل رطل» وعدم تجاوز ذلك «ليلا تسود الفلوس وتغش بالرصاص حتى تكون منه»[52]. وبعد الشروع في العمل يوجه من دار السكة نموذج لما صنع للسلطان، فقد كتب مولاي عبد الرحمان إلى محمد أشعاش يقول: «علمنا شروعك في ضرب الدرهم الرباعي من الريال، وقد وصلت مشطرته على مثال ضرب درهم الرباط وأُستحسناه غاية وسيزيد لزيادة الخدمة إتقاناً»[53]. وعند ضرب الدرهم الرباعي بتطوان عين أشعاش أميناً لملازمة دار الضرب وأميناً آخر «لشراء ما يظهر من الفضة»[54].

وأما صناع النقود أو المعلمين فتذكر الوثائق أنهم كانوا من اليهود فحين قام المولى عبد الرحمان بتأسيس دار لضرب السكة المغربية بالرباط 1825م طلب من قائد تطوان أن يرسل إليه يهود يحسن ضرب السكة[55]. غير أن هذه التجربة انتهت بعدما اكتشف السلطان الغش والتزييف ضمن مبلغ من المال توصل به من أمين ضرب السكة بالمدينة فاضطر إلى توقيف ضرب السكة بتطوان بسبب تفاقم الغش فيما أصبحت تنتجه[56].

ويتبين لنا أن الغش والتزوير للعملة أصبحت ظاهرتين شائعتين[57] في هذه المرحلة، دفعت مرارا السلطان مراسلة خدامه بالعمالة لمحاربتهما والعمل على تشديد المراقبة. وهذا ما تعبر عنه إحدى وثائق العهد العزيزي مما جاء فيها: «خديمنا الأرضى أمين المستفاد بثغر تطوان...وبعد فقد بلغ علمنا الشريف أنه ظهرت سكة مزورة على سكة المخزن المضروبة في برلين في عام التاريخ، وشاع أمرها بالمدن...فنأمرك أن تقوم على ساق في رد البال لذلك، ونصب عيون التيقظ لها والفحص عن المشتغل بجلبها وعدم إهمال أمرها»[58]. التدليس والغش حسبما توثقه الوثيقة المخزنية نجده عادة ما ارتبط باليهود «ظهر أن ذلك بسبب اليهود لتماديهم على شراء الفلوس الزائفة بالبخس من الجالبين لها من البوادي»[59]. هذا الحضور المتكرر للعنصر اليهودي في إشكالية التزوير كما يبدو من متون الوثيقة المخزنية يطرح تساؤلات منها، ما الأسباب التي دفعتهم لذلك؟ هل هو ترجمة لوضعية شائكة أصبح هؤلاء يعيشوننا خلال القرن التاسع عشر؟ أم هناك من حاول تشويه الدور الحيوي لهؤلاء في الحياة الحرفية بالمملكة؟

---

[51] - استغرق داود في موسوعته بالحديث بشكل مستفيض عن مسألة سك النقود. وللاطلاع أنظر جدولا ضمن مقالة، «مسألة النقود في الكتابات التاريخية التقليدية» آفا، عمر(2002)، تاريخ المغرب المعاصر، دراسة في المصادر والمجتمع والاقتصاد، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة بحوث ودراسات رقم 34، ط1، الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة، ص. 116.

[52] - رسالة في 11 ذي الحجة 1227/ 16 دجنبر 1812 وردت عند داود، محمد، النقود المغربية في مائة عام ... ، ص. 113.

[53] - رسالة في 14 ربيع الأول 1256ه/ 16 ماي 1840، جوانب من علاقة...، مرجع سابق. ص. 107.

[54] - العيساوي، فاطمة، مرجع سابق، ص. 107.

[55] - أنظر الرسالة السلطانية للقائد محمد بن عبد الرحمان أشعاش، في 12 رمضان 1241 / 7 ماي 1826 وردت عند داود، محمد، النقود المغربية في مائة...، مصدر سابق، ص. 114.

[56] - رسالة سلطانية لبوسلهام بن علي أزطوط، في 24 صفر 1262/ 21 فبراير 1845 مح 8/9.وردت عند العيساوي، فاطمة ، مرجع سابق، ص. 114.

[57] - يبرز داود نماذج للقطع المزيفة ضمن قائمة تشمل أسماء السلاطين و تلك القطع التي زيفت في عهدهم، و توضيح وزن الزيف مقارنة بالأصلية. راجع، النقود المغربية...، مرجع سابق، صص. 104-106.

[58] - رسالة سلطانية موجهة لأمين المستفاد، بتاريخ 1320/ 4 يناير 1903م. وردت عند داود، النقود المغربية...، مرجع سابق، ص. 124.

[59] - رسالة سلطانية لأحد القواد، بتاريخ 6 رمضان 1301ه/ 29 يونيو 1848م. النقود المغربية...، مرجع سابق، ص. 117.

2.2-الحدادة

كانت الحدادة من الصناعات الرائجة بتطوان قبل فترة الاستعمار الإسباني ويقال لها «تحدادت وهي عبارة عن صنع للفؤوس والعتالي والمزابر والسكاكين»[60]. والركاب إذ كتب المولى عبد الرحمان لأشعاش يأمره: « وبوصول كتابنا هذا إليك إختر عشرة قناطير من جيد الحديد الصافي الرطب ووجهها لحضرتنا الشريفة ولا توجه مطلق الحديد الذي يرد على التجار فقد أردنا صنع الركابات منه »[61]، كما كانت تطوان تصنع جميع أنواع الصفائح كالصفيحة، الخيالية، والبغالية، والحمارية « فقد وصل لحضرتنا الشريفة الوثاق والخمس عشرة مائة طرحة من الصفيحة الخيالية بمسمارها »[62] وأنواعا مختلفة من المسامير كمسمار جناح ذبابة، ومسمار الورقة الصغير، والمسمار المثني[63]، وهذا ما تفصح عنه هاته الوثيقة «فبوصول كتابنا هذا إليك، مر المعلمين الحدادة بصنع مائة ألف طرحة من المسمار بقصد تسمير البغال، ولتكن من الحديد الرطب »[64]، وغيرها من المنتوجات الحديدية « ووصل ما وجهت من الإقامة التي أمرناك بصنعها، زكاريم وفراخي كبار وموسطة، وأخراص كبار وصغار، وسواقط ولواقط ومسمار مقبب وتدريكة وزواق أخضر وزيت الكتان، الكل وفق ما بينت »[65]. كذلك ومن قلب شارع الحدادين حيث وجدت عشرات الحوانيت التي اختصت في تصنيع العديد من الأدوات المعدنية الحديدية، كان هناك إنتاج للفؤوس كأداة لها أهميتها في القطاع الفلاحي، فهذه رسالة يأمر فيها السلطان تزويده ب 400 فأس توجه له «وجه لحضرتنا العالية بالله تعالى أربعمائة فأس من الفؤوس التي تخدمون بها جنتكم وعشر عتلات»[66].

كما تعرف مدينة تطوان بحرفة الحدادة الفنية، والتي تعد أكثر الحرف تجدرا في الهوية الحرفية لمدينة تطوان، وقد برع الحداد التطواني في الحدادة سواء الفنية أو الاستهلاكية. وبالعودة إلى وسط المدينة العتيقة ومرورا بالسوق الفوقي، نجد –كما سبق ذكره-حي حرفي خالص يطلق عليه اسم "الحدادين"، يتكون من مجموعة من الدكاكين الخاصة بالحدادة.

وتمتاز الحدادة الفنية بمدينة تطوان بسمات تميزها على الحدادة في عدد من المدن المغربية بأشكالها المختلفة والدقيقة، من حيث القطع المنجزة في إطار الحدادة الفنية، ومن أبرز منتجات هذه الحرفة الشبابيك المنزلية المزخرفة، الفوانيس الديكورات المنزلية، الأثاث المنزلية.

تعتمد هذه الصنعة على الطرق التقليدية التراثية القديمة التي يتم دمجها مع عناصر جديدة، وهذا ما يعطي ذلك الحس الفني والإبداعي للحرفي. الذي يضفي على المنتوجات طابع الجمالية والفنية.

إن مراحل إنتاج المنتوجات الحديدية، تتوقف على مهارات التصميم وتقنيات تطبيق هذه التصاميم،

---

60 - أبو العباس أحمد الرهوني (2012)، عمدة الراوين في تاريخ تطاوين، تحقيق جعفر ابن الحاج السلمي، منشورات جمعية تطاوين أسمير، تطوان: مطبعة الخليج العربي، الجزء الأول، ص.224.

61 - رسالة سلطانية، مؤرخة في 27 ذي القعدة 1244ه/ 31 ماي 1829. وردت ب، جوانب من علاقة...، مصدر سابق، ص.97.

62- رسالة سلطانية إلى القائد محمد أشعاش، بتاريخ 22 ذي القعدة 1243 ه/ 29 ماي 1828م، تاريخ تطوان، مصدر سابق، مج 8، ص.128.

63 - رسالة مؤرخة في 27 ذي القعدة 1244ه/ 24 ماي 1829م، جوانب من علاقة...، مرجع سابق، ص.99.

64- رسالة سلطانية للقائد محمد أشعاش، بتاريخ 16 شعبان 1260ه/ 23 غشت 1844م، تاريخ تطوان، مصدر سابق، مج 9، ص.76.

65- رسالة سلطانية إلى القائد عبد القادر أشعاش، بتاريخ 2 رجب 1264ه/ 28 ماي 1848م، تاريخ تطوان، مصدر سابق، مج 9، ص.305.

66- وجهت إلى محمد أشعاش، بتاريخ 7 رجب 1242ه/ 28 يناير 1827م، تاريخ تطوان، مصدر سابق، مج 8، ص.92.

التي ترسم على الورق من طرف المعلم، ثم تطبيق الزخاريف على قضبان الحديد. بقوة المطرقة وحرارة النار، وقد يتم إلصاق الزخرفة على صفيحة الحديد ويشرع الحرفي في تقطيعها وفقا لهذه الزخرفة. وفي إطار البحث الميداني وجدنا عددا كبيرا من الحرفيين الذين يمتهنون حرفة الحدادة أغلب منتوجاتهم تصدر نحو مدن أخرى، بداعي مهارة ودقة المنتوجات الحديدية التطوانية، وخصوصا نحو المدن الساحلية. وتعيش الحدادة الفنية فترة ازدهار كبيرة لكون الطلب أكثر من العرض.

3.2-القزدرة

يشير الفقيه الرهوني إلى أن صناعة القزدرة بتطوان كانت من صنفين:

الأول: خاص بالمسلمين وكان مقتصراً على صنع الطناجير والبرم ودلاء النحاس والكساكس.

والثاني: خاص باليهود وكان مقتصراً على صنع أواني القصدير من أباريق وفوانيس وغيرها[67].

وفي هذا السياق يؤكد لوطورنو أن يهود فاس اختصوا بالقزدرة مركزين على تلبية حاجيات الملاح وفاس الجديد، وبالتالي تاركين زبناء المدينة لزملائهم المسلمين، وذلك لتلافي كل منافسة بين الطرفين[68].

4.2-الصياغة

جل الصاغة من اليهود ينتجون الدمالج والخواتم والمفاتل والأخراص والأحقاف وغير ذلك من الأمور التي تصنع من الذهب والفضة وغيرها[69]، وقد كانت هذه الصناعة خاضعة لمراقبة المخزن - سلطة المحتسب-تلافيا لكل غش في الميزان[70]، كما كان للحرب أثرها العميق في تدهور هذه الصناعة بسبب الغلاء الفاحش لأثمان المواد الأولية[71].

وأطلق على الصناع الصياغ في العبرية بـ صورفيم، وبالعربية الذهابين على ممن يشتغل بالذهب، وكذا أطلق إسم السكاكين أو الصياغيين على من يشتغل بالفضة[72]. ولعل ازدهار مثل هذه الحرف بالمدينة أسهم فيه ولحد ما وجود نسبة من المعادن بالمنطقة والعمل على استثمارها، وهو ما **تشير له** بعض الوثائق «فقد ذكر التاجر الأرضى الحاج أحمد بوضربة الجزيري، أنه الفى معدنا من النحاس قرب تطوان سهل العمل ببلاد الأمان، وأدنا له في استخراجه، والتصيير عليه من ماله الخاص به، على أن يؤدي لبيت المال عمره الله الربع مما يستخرج منه، ويستبد بالثلاثة أرباع في مقابلة صائره وعمله»[73]. والاعتماد على تجار بعينهم كان يتم بتزكية من أحد خدام المخزن بالمدينة، فأولا لارتفاع تكلفة الاستخراج، وثانيا لفوائد ذات طبيعة اجتماعية وهو تحريك مجال الشغل، وثالثا ضمان موارد مالية لبيت المال، «وأعطاه لادن يبعث على عشرة معلمين ...ماع المال لأن يحتاج لهذ لأمر نحو المات ألف، ويعط لبيت مال المسلمين الربع في الفائدة، وهد لامر فيه ربح لبيت المال عمره الله ولرعية مولانا نصره الله، لأن تحتاج تكون نحو ألف رجل تخدم في هد لامر»[74].

5.2-صناعة النحاس

لا يخلو أي بيت من البيوت التطوانية العريقة وحتى البيوت الحديثة من الأواني النحاسية التي

---

67 - عمدة الراوين، مصدر سابق، ج1، صص. 225 – 226.

68 - الخمليشي، عبد العزيز(2012)، مدينة الرباط في القرن 19م (1818-1912) جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية. سلسلة رسائل واطروحات رقم:66، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، ط 1، الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة، ص.366.

69 - عمدة الراوين، م. س، ج1، صص. 224 – 225.

70- مدينة الرباط...، مرجع سابق، ص. 366

71 - مدينة الرباط...، مرجع سابق، ص. 367.

72 - الزغفراني، حاييم (1987)، ألف سنة من حياة اليهود بالمغرب، تاريخ – ثقافة- دين، ترجمة أحمد شحلان وعبد الغني أبو العزم، ط1، الدار البيضاء: مطبعة دار قرطبة، ص.152.

73- رسالة سلطانية للقائد عبد القادر أشعاش، بتاريخ 26 شوال الأبرك 1262ه/ 10 أكتوبر 1846م، تاريخ تطوان، مصدر سابق، مج 9،صص.249-250.

74- رسالة من الحاج محمد الرزيني إلى محمد بن إدريس، بتاريخ 8 رجب1262 ه/ 25 يونيو 1846م، تاريخ تطوان، مصدر سابق، مج 9، صص.248-249. لكن سيتضح فيما بعد أن هذا التاجر سيسحب منه ترخيص الاستثمار لكونه من المخالطين، أنظر، تاريخ تطوان، مصدر سابق، ص.289.

أصبحت الآن من التحف العريقة التي لا تقدر بثمن، والتي يتم الاعتناء بها بطريقة خاصة تختلف عن الأواني الأخرى، ومن بين هذه الأواني الصينية، الكؤوس، الأطباق "الطاس ويدو"، "المهراس" وغيرها كثير... من الأواني والآلات.

وأهم ما ميز هذه الأواني أنها ذو جودة عالية، ولا تؤثر فيها عوامل الاستعمال والزمن كما تميزت بالنقوش اليدوية المتواجدة عليها التي برع فيها الصانع التطواني، سواء بالنقل أو الإبداع. تطوان لا تتوفر حاليا سوى على خمسة حرفيين في مجال النقش على النحاس والمستوى العمري أربعة منهم تتجاوز 55 سنة. وثلاثة منهم يتمركزون في مجمع الصناعة التقليدية واثنين منهم في المدينة العتيقة.

من أهم المواد الأولية المستخدمة في صناعة النحاسيات بمدينة تطوان:

-النحاس الأبيض.

-النحاس الأصفر.

-النحاس الأحمر.

حرفيي تطوان عرفوا بفن النقش على النحاس، هذه المهارة التي تمر بعدة مراحل يمكن إجمالها فيما يلي:

- المرحلة الأولى: رسم الزخرفة، الرسم هي أول مراحل العمل، ويقوم بها رئيس الورشة. ثم تبدأ عملية الزخرفة والنقوش بعد اختيار شكل الآنية المطلوب صنعها حيث ترسم النقوش على ورقة باستخدام كل من قلم الرصاص، المسطرة، البيكار.
- المرحلة الثانية: يتم تلصيق الرسم على صفيحة النحاس باستعمال اللاصق لتسهيل عملية التقطيع.
- المرحلة الثالثة: هي عملية جد دقيقة، وتتميز بتقطيع وتفصيل صفيحة النحاس إلى قطع صغيرة أو كبيرة الحجم وذلك على حسب الأشكال المطلوبة، وهنا يتم أخذ بعين اعتبار نوع القطعة وحجمها.
- المرحلة الرابعة: الزخرفة والنقش بمساعدة المطرقة والمقطع أو الظفرة يقوم الصانع بتتبع الرسم ويتم تحديد الشكل المطلوب.

المرحلة الخامسة: يتم مسح القطع باستعمال الحوامض أو الماء.

ثالثاً: صنائع أخرى

1. حرف ذات صلة بالتطبيب والتداوي بالأعشاب

الطب التقليدي(الشعبي)حسب منظمة الصحة العالمية، هو مجموعة المعارف والمهارات والممارسات القائمة على النظريات والمعتقدات والخبرات الأصيلة التي تمتلكها مختلف الثقافات والتي تستخدم، سواء أمكن تفسيرها أو لا، للحفاظ على الصحة والوقاية من الأمراض الجسدية والنفسية أو تشخيصها أو علاجها أو تحسين أحوال المصابين بها[75]. ويقول المثل "الإنسان ابن بيئته"، فهو يتأثر بمحيطه ويؤثر فيه ويتفاعل مع أحداث المجتمع. وينهل من عادات وتقاليد المجموعة البشرية التي ينتمي إليها ومن موروثاتها الثقافية وأعرافها السائدة ويتشبع بالمعتقدات والأعمال الشائعة. "لقد كان سكان تطوان في منتصف القرن العشرين كلما ألمت بهم وعكة صحية إلا وقصدوا الحكيم، الطبيب، العشاب أو العطار، من أجل الدواء المناسب لتلك الوعكة أو لتشخيص المرض وتحديد وصفة العلاج"[76]. وكان التداوي غالبا ما يتم بالأعشاب بالدرجة الأولى، ثم العقاقير التقليدية بالدرجة الثانية، والتي يحضرها الأطباء ويتولون بيعها بأنفسهم أحيانا. ومن قبيل الحرف المتعلقة بالطب البديل الحجامة والختان وأيضا جبر الكسور، قلع الأضراس، الكي ضد"بوزلوم""بومزوي" "بوصفار"، علاج الجلالة حب الشباب الصلع، الجذام، التهاب اللثة، الضعف الجنسي... كما أن هناك تقنيات ومهارات تطبيبية رائجة بين السكان في تطوان لا تحتاج لطبيب أو عشاب توارثتها الأجيال عن بعضها من بينها معالجة تشقق الأقدام بزيت الزيتون، ولعلاج مرض التهاب جلدة القدمين يضعون الحناء ولمعالجة المرفقين والركبتين وترطيبهما يمزجون الحلبة بزيت اللوز وعصير الحامض ويضعونه عليها لمدة 10 دقائق،"حيث كانت الأدوية كلها من الأعشاب

[75]-https://www.who.int/topics/traditional_medicine/definitions/ar/(2020/10/10)

[76]- القباج، عبد الإله (2005)، الصناعة التقليدية نضال وثقافة واقتصاد اجتماعي. الرباط: مطبعة المعارف الجديدة، ص213.

والمشروبات والأذهان. ومن أشهر الدهون التي كانت معروفة لدى جل البيوت التطوانية، دهن خاص كانت تصنعه السيدة أمكلثوم ابنة الباشا الوجيه السيد الحاج أحمد الطريس، وهو دهن معد من مجموعة كبيرة جدا من الأعشاب، ويصلح لشفاء الأورام، وقد جرب مرارا فكان أكثر فعالية من كثير من المضادات الحيوية المعروفة في عصرنا هذا"[77]. ومن بين العادات الاستشفائية المهمة التي يقوم بها سكان تطوان هي زيارة الحمامات التقليدية التي هي تقليد واظب عليه التطوانيون خصوصا يوم الخميس، حيث تعالج حرارة مياه وأرضية الحمامات أمراض عدة كآلام المفاصل وآلام الظهر وأمراض الأذنين والأنف. والحمام التطواني يتميز بوجود ثلاث غرف واحد يسمى السخون ويكون ذو درجة حرارة مرتفعة، وآخر معتدل الحرارة إلى مرتفعة يسمى "المتوسط" وآخر ذو حرارة دنيا يسمى البارد.

هناك حرف تقليدية تدخل في الطب الشعبي مازالت تمارس بكل مهاراتها وتقنياتها، بل أكثر من هذا تمارس بالحصول على شهادات مهنية في مجال التخصص من بينها العشاب وصانع الأسنان والحجام الذي يقوم بعملية الحجامة. هذه الحرف التي مازالت تقاوم منافسة التقدم الطبي والتكنولوجي، باجتهاد ممارسيها وباطلاعهم على كتب الطب الحديث، واستعمال مواد طبيعية لاتضر إن لم تنفع، وقد أثبتت وجودها بفضل الأعشاب الطبية التي تتوفر عليها الضواحي ولو لقلتها، التي تلقى ترحيبا من السكان في تطوان أكثر من الأدوية والعقاقير وخصوصا فئة الشيوخ من النساء والرجال اللذين تعودوا على التطبيب بهذه الطرق البديلة.

إن التنوع النباتي في المدينة وضواحيها له دور كبير في غزارة هذه المهارات الطبية، إذ توفر مرتعا خصبا لاجتهادات المتخصصين في الطب البديل، كما أن هذه النباتات تستقي قيمتها الإقتصادية والعلاجية من كمية الاستعمالات الطبية لها. ومع تدهور الغطاء النباتي وتضاءلت الأنواع النباتية نتيجة للضغط السكاني وتغير المناخ تناقصت المعارف بشأن النباتات الطبية المجالية. أيضا مع انخراط الأجيال الجديدة في صفوف المجتمع الحداثي، لم تعد المعارف الأصلية المنقولة شفهيا تنتقل من جيل إلى جيل، مما يزيد فرص اضمحلال هذا الموروث الثقافي اللامادي بل وقد يكون في طريقه إلى الزوال. كما أن هذه الأجيال لم تقتنع بعد بأهمية الطب البديل، كل هذا ساهم في تراجع استعمال التداوي بالأعشاب لدى المجتمع التطواني. مجموعة من المهن المرتبطة به من جامعي الأعشاب، ومجففيها، وبائعيها خامة في طريقها للإنقراض.

2. صنعة تحضير الصابون

حتى ما يختص بمنتوج النظافة كانت المدينة مركزا لحرفيين لهم الخبرة في إنتاجه، «الحمد لله إكترى السيد عبد الله بن أحمد الشويخ من الناظر الأرضى السيد عبد السلام بن الحاج محمد ويدان جميع الحانوت الكائنة قرب باب المقابر المقابلة لدار الصابون »[78]، «الحمد لله زمام ما صيره الناظر على إصلاح حانوت قرب باب المقابر تقابل دار الصابون التي كانت في القديم في اعتمار هيدور »[79] غير أن النهج الاحتكاري للمخزن يبدو واضحا هنا، إذ يبرز من إحدى الوثائق أن المخزن هو الوحيد الذي يمتلك صلاحية منح الترخيص، واختيار الأطراف التي سيخول لها امتياز ذلك مع شروط دقيقة تحفظ حقوقه، « أمضينا بحول الله وقوته للذمية الثلاثة وهم سنطوب بن يوسف كويهن وسنطوب بن عمران كويهن وشلوم بن سنطوب كويهن الكل من ذمة تطوان، كنطردة خدمة الصابون وبيعه بثغر تطوان وطنجة، بشرط أن يخدموا إلا الصابون الجيد الغاية ويبيعونه بسعر الوقت بالثغرين المذكورين، بحيث لايزيد فيه شيئا لمدة ثلاثة أعوام، على أن يؤدوا للجانب الشريف أحد عشر ألف مثقال عن المدة المذكورة، ويؤدون العدد المذكور بحكم التقاضي عند تمام كل ثلاثة أشهر»[80].

---

[77]- داود، محمد (2015)، التكملة، مصدر سابق، ص422.

[78] - بتاريخ أوائل ذي القعدة 1290ه/ دجنبر 1873م، حوالة جامع سيدي علي بركة، ص. 6.

[79] - دون تاريخ، حوالة جامع سيدي علي بركة، مصدر سابق، ص. 49.

[80] - رسالة من محمد المكي القباج ليهود تطوان، بتاريخ 27 ذي الحجة 1267ه/ 16 أكتوبر 1851م، تاريخ تطوان، مصدر سابق، مج 3، ص.312.

3. صنعة القوامة أو أرباب البصر

وحرصا على جودة المنتوج، ومحاربة للغش، وتقديرا للأسعار الحقيقية، عرفت المدينة حرفيين أنيطت بهم هذه الأدوار عرفوا ب: شيوخ النظر أو العارفون أو المقومون أو أرباب البصر، وكان هؤلاء يصنفون حسب المجال الحرفي الذي ينتمون له ويمتلكون فيه الخبرة، «...والمراد به النظر في عيوب الأملاك وقيمها، والرقيق وقيمه، والعروض وقيمها. وهي حرفة يعين القضاة لها عارفين من أهل صنعتها، يشهدون عنده بها في عملهم من ذلك. والغالب قيام شخصين بذلك من كل صنعة»[81] فكان هناك بالمدينة: مقوموا المباني، مقومو الرباع، مقومو العقار، مقومو الاثاث، مقومو المملوكين، مقومو الحلي، وغيرهم، ومن خلال عدة رسوم عدلية يبدو حضور هؤلاء لافت في مجال اختصاصاتهم، فكان من بينهم:

سنة 1206 هـ / 1792م، على مدينة، عبد القادر البروبي، مقومين للجوهر والحجر.
سنة 1250-1254هـ/ 1834-1838م، محمد بن الشريف، مقوما للبناء.
سنة 1254 هـ / 1838م، عبد السلام بن محمد هيدور، مقوما للماء.
سنة 1250-1257 هـ / 1834-1841م، عبد الرحمن الفحل، مقوما للنجارة.
سنة 1326 هـ / 1908م، العسري اليهودي، مقوما للحلي.
سنة 1326 هـ / 1908م، أحمد الرويز، مقوما للسلاح[82].

من ناحية أخرى يبدو أن المجال القبلي القريب للمدينة كذلك تعاطت ساكنته بعض الحرف التي تماهت مع الخصوصية البدوية وشكلت سبيلا للعديد من الأسر لتوفير معيشتها عبر بيع إنتاجها بالفضاء الحضري من خلال عمليات التبادل التجاري الذي ميز مركز العمالة مع نواحيه القروية. وهذا ما يشير له موليراس بخصوص قبيلتي بني سعيد وبني معدان قائلا: «ويكسب الأهالي الفقراء قوتهم من صناعة حصائر الأسل والحلفة ويقضون الساعات الطوال في فتل الدوم، كما أنهم يتوفرون على منشآت للملح *salines* الذي يحملونه إلى قواربهم ويبيعونه بالريف. ويمارس الكثير منهم مهنة الصيد وصناعة المواقد والفحم»[83]. أضف أن جون برايت ويت يشير إلى أن حامية جبل طارق اعتمدت في كثير من تموينها على ما يصدره أهل تطوان من مواد أبرزها عيدان التدفئة التي كان أهل النواحي يحطبونها خصيصا لجبل طارق، وهو ما تحدث عنه قائلا: «فإن القبطان فونتين *Fountaine* تعاقد معهم في منزل السيد روسل Russel في شأن العيدان والحطب...دعانا القبطان فونتين لقضاء اليوم مع الحطابين، للتأكد من سير العمل في مسألة العيدان. وبما أن التجوال كان ممتعا»[84].

على العموم فإن قبائل جبالة حسب المريني العياشي، مارست حرفا تقليدية عدة من قبيل، صناعة النسيج، والخزف، والحصر، والصمغ، وإنتاج الصابون البلدي، والنجارة وغيرها[85].
حقيقة لا يمكن حصر جميع الحرف التي تعاطاها قطاع مهم من الساكنة أو عرفها المجتمع التطواني بكل أطيافه وشرائحه[86] في الفترة المدروسة، كما لا يمكن سردها جميعها، لأن المجال يضيق عن ذلك بالرغم من أهميتها، فكل الحرف التي تعاطاها الحرفيون التطوانيون كان لها دور وهدف تخدمه. كما أن الكثير

---

81 - عمدة الراوين، مصدر سابق، ج 1، ص.233.

82- التكملة، مصدر سابق، صص. 330- 338.

83- مولييراس، أوجست، (2013)، المغرب المجهول، اكتشاف جبالة، ترجمة وتقديم عز الدين الخطابي، منشورات تفرازن اعريف، ط 1، المغرب: مطبعة النجاح الجديدة.ج 2، ص.199.

84- مادني، مينة (2000)، تاريخ الثورات في إمبراطورية المغرب بعد وفاة السلطان الراحل مولاي إسماعيل، لمؤلفه جون برايت وايت، ترجمة ودراسة، الرباط: جامعة محمد الخامس، دبلوم الدراسات العليا، غير منشور، صص. 132-133.

85 - صور من التاريخ البطولي لمنطقة جبالة (1983)، طنجة: المطابع المغربية والدولية. ص. 25، كذلك نجد أحد الرحالة الإنجليز يثير قضية تعاطي بعض آهالي المناطق المحيطة بتطوان لبعض الحرف مثل صناعة الحبال والسلل وشبه ذلك بما كان يقوم به المصريون قديما. راجع رحلته:

- ROSCOE، Tho, *The tourist in Spain and Morocco* - I llustradted from Drawings by David Roberts, London: Printed by Maurice, Clark, and Co, Fenchurch Street, p. 197.

86 - ولمزيد من الاطلاع على مختلف الحرف التي تواجدت بتطوان يرجع للترجمة التي قام بها جمال الدين العمارتي، جولي، ألكسندر (2021)، الحرف والصنائع بتطوان خلال العقد الأول من القرن العشرين. تر، جمال الدين العمارتي، وتقديم نزار التجديتي، ط1، تطوان: مطبعة الخليج العربي.

منها لا يعرف عنها إلا الإسم* إذ لم تتحدث عنهم المصادر بأي شكل، دون أن ننسى أن اليهود امتهنوا عدة حرف يقتضي التحليل منا أيضا تسليط الضوء عنهم ولو وفق الشذرات التي توفرها المادة في إطار وحدة المجتمع وخصوصيات التنوع لاسيما وأن « الطبقة الغنية منهم، كانت تزاول التجارة، بينما كانت الوضيعة مختصة بأعمال معروفة، منها خياطة البراذع للبهائم، وخياطة الخيام وتهيئ أوتادها، وتخميل أودية الواد الحار، وإصلاح وكي الأواني القصديرية...الخ، وكان أصحاب الطبقة البسيطة من اليهود معروفين بطوافهم عبر الشوارع وهم ينادون بأعلى صوتهم، معلنين عن بضاعتهم»[87]. زد على هذا أن الطابع الديني للمجتمع المعتنق للإسلام أنتج بفضاءاته المقدسة مجموعة من الحرفيين الذين اختصوا بالتوعية والإرشاد والتذرير والآذان والخطابة والتشفيع والتهليل وقراءة القران أو الحزابة وغيرهم، كان لهم وجود بارز في معاش الأسر التطوانية يوميا أو مناسباتيا، وبالتالي يظل الحديث عن جميع الصنائع والحرف التطوانية الدينية أو الدنيوية مستحيلاً إذ أردنا أن نحيط بجميعها.

خاتمة

على أن تطوان عبر فترات التاريخ المعاصر موطن عدة حرف وأساس الدينامية الاقتصادية للمخزن، وقطاعا حيويا لتوفير المعاش للعديد من أبناء المجال التطواني، خاصة أولئك البسطاء الذين عبرها أعالوا أسرهم ووفروا احتياجاتهم الضرورية من أكل وشرب وغيرها.

ومن جهة أخرى، كانت تلك الحرف ولازالت إحدى أهم الصنائع التي تميزت بتقاليد وأعراف وأسماء ووظائف جعلتها في قلب الدورة الاقتصادية للحاضرة وتحظى ببنية تنظيمية خاصة تؤكد حرص الحرفي على استمرارية صنعته وتحصينها من انعكاسات طارئة داخليا وخارجيا.

من جهة أخرى، اليوم يتوفر هذا الإرث-النسيج الحرفي-على مؤهلات يمكن استثمارها في ميادين اقتصادية على رأسها القطاع السياحي، الذي يعد أساسا في تنشيط الحياة الاقتصادية بالمجال. وقد يسهم في إعطاء صدى وطني ودولي ذو طابع متوسطي، فتنوع روافده يؤكد لنا أنها جمعت ما بين مختلف الإثنيات والثقافات التي تعايشت على مدى فترات زمنية طويلة، والمعالم المادية وغير المادية خير شاهد على تمازج مختلف عناصر المجتمع التطواني، سواء كان يهوديا، أو مسلما أو أمازيغيا...وبالتالي المساهمة في الحفاظ عليها وصونها ضرورة تنموية ملحة.

قائمة المصادر والمراجع

مجلات

1. بوعسرية، بوشتة (2005)، مكناس وأحوازها 1900 – 1939، الاقتصاد، المجتمع، التنظيم الإداري، تنسيق ومراجعة محمد الشريف، المغرب: منشورات وزارة الثقافة، مطبعة دار المناهل.
2. فتحة، محمد (1985)، «جوانب من الحياة الاقتصادية المغربية خلال العصر المريني»، الدار البيضاء: مجلة، حوليات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ع 2، 1985، ص. 151.

دراسات

1. أبو العباس، أحمد الرهوني (2012)، عمدة الراوين في تاريخ تطاوين، تحقيق جعفر ابن الحاج السلمي، منشورات جمعية تطاوين أسمير، تطوان: مطبعة الخليج العربي، ج2.
2. آفا، عمر (2002)، تاريخ المغرب المعاصر، دراسة في المصادر والمجتمع والاقتصاد، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة بحوث ودراسات رقم 34، ط1، الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة.
3. بن الصغير، خالد (2009)، المغرب في الأرشيف البريطاني، مراسلات جون دراموند هاي مع المخزن، 1846-1886، ط2، الرباط: دار أبي رقراق للطباعة والنشر.

* مثل حرفيين مهمشين لم تكتب عنهم المصادر المعاصرة 'كالكسالة' بالحمام، والحكواتي، وصناع قناديل الإنارة، والزبالة، والحجامة، والدلالة، والحمالة، والكرابة، وبائعي السباط، ومروضي الأفاعي وغيرهم. ثم ذلك العنصر النسوي الذي احترف مهنا بسيطة شاعت أنداك بالمدينة وأحوازها، واللواتي لا نعرف كذلك عنهن شيئا، وهو ما يثيره داود قائلا: «مع الإشارة إلى ماكان معهودا في شوارع تطوان من منظر لنساء يقمن بمختلف المهام، ومن ذلك مثلا أنهن كن يبعن زهور الزهر في -عطارين سيدي بوجيدة – وكن يبعن الحليب واللبن والزبدة إلخ.» أنظر، التكملة، مصدر سابق، ص.386.

[87]- التكملة، مصدر سابق، ص.435.

4. جولي، ألكسندر (2021)، الحرف والصنائع بتطوان خلال العقد الأول من القرن العشرين. تر، جمال الدين العمارتي، وتقديم نزار التجديتي، ط1، تطوان: مطبعة الخليج العربي.
5. الخمليشي، عبد العزيز (2012)، مدينة الرباط في القرن 19م (1818-1912) جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية. سلسلة رسائل واطروحات رقم:66، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، ط 1، الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة.
6. داود، محمد (2013)، تاريخ تطوان، مراجعة وتصحيح حسناء داود، منشورات مؤسسة محمد داود للتاريخ والثقافة، المغرب: مطبعة دار أبي رقراق للطباعة والنشر.
7. داود، محمد (2016)، التكملة ذيل لكتاب تاريخ تطوان في خطط المدينة وسكانها وحياتها الاجتماعية. مراجعة وتحقيق وإضافات، حسناء داود، منشورات جمعية تطاون أسمير، ط1، تطوان: مطبعة الخليج العربي.
8. الزغفراني، حاييم (1987)، ألف سنة من حياة اليهود بالمغرب، تاريخ – ثقافة-دين، ترجمة أحمد شحلان وعبد الغني أبو العزم، ط1، الدار البيضاء: مطبعة دار قرطبة.
9. السعود، عبد العزيز (1996)، تطوان خلال القرن التاسع عشر، مساهمة في دراسة المجتمع المغربي، منشورات جمعية تطاون أسمير، تطوان: مطبعة الخليج العربي.
10. الشابي، مصطفى (2008)، الجيش المغربي في القرن التاسع عشر، 1830-1912. ط1، مراكش: المطبعة والوراقة الوطنية.
11. القباج، عبد الإله (2005)، الصناعة التقليدية نضال وثقافة واقتصاد اجتماعي، الرباط: مطبعة المعارف الجديدة.
12. لقبايبي، محمد توفيق (2020)، حرف الماء في تاريخ المغرب، بين التأصيل والتجديد. دراسة في تاريخ نماذج من الحرف المائية. ط1، مراكش: مؤسسة آفاق للدراسات والنشر والاتصال، المطبعة والوراقة الوطنية.
13. المريني، العياشي (1983)، صور من التاريخ البطولي لمنطقة جبالة، طنجة: المطابع المغربية والدولية.
14. موليبراس، أوجست، (2013)، المغرب المجهول، اكتشاف جبالة، ترجمة وتقديم عز الدين الخطابي، منشورات تفرازن اعريف، ط 1، المغرب: مطبعة النجاح الجديدة.

ندوات

1. ندوة، الأسلحة في تاريخ المغرب. تنسيق عبد القادر آيت الغازي، مختبر التاريخ والمجال في المغرب والعالم المتوسطي، بني ملال: منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، سلسلة ندوات رقم: 11.
2. ندوة، وقفات في تاريخ المغرب، الرباط: منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، سلسلة بحوث وندوات رقم: 27.

رسائل جامعية

1. الزغول، مصطفى (1994)، الحرف والصناعات في الأندلس منذ الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة. الأردن: الجامعة الأردنية ماجيستر في التاريخ، غير منشور.
2. العساوي، عبد الرزاق (2015)، أعيان تطوان خلال القرنيين 18-19م، محددات الوجاهة ومظاهر الحركية الاجتماعية، الرباط: جامعة محمد الخامس، دكتوراه في التاريخ غير منشورة.
3. العيساوي، فاطمة (1989)، جوانب من علاقات المخزن بالحرف 1822-1894. الرباط: جامعة محمد الخامس، د. د. ع في التاريخ غير منشور.
4. غطاس، عائشة (2001)، الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر 1700 – 1830، مقاربة اجتماعية – اقتصادية. الجزائر: جامعة الجزائر، دكتوراه دولة في التاريخ الحديث غير منشورة.
5. مادني، مينة (2000)، تاريخ الثورات في إمبراطورية المغرب بعد وفاة السلطان الراحل مولاي إسماعيل، لمؤلفه جون برايت وايت، ترجمة ودراسة، الرباط: جامعة محمد الخامس، دبلوم الدراسات العليا، غير منشور.
6. المحمدي، على (1998)، المخزن والنظام، 1830-1894. الرباط: جامعة محمد الخامس، أطروحة في التاريخ غير منشورة.

مواقع إلكترونية

https://www.who.int/topics/traditional_medicine/definitions/ar/(2020/10/10)

المراجع الأجنبية

1. (R), MASSIGNON (1925), *Enquêtes sur les corporations nusulmanes d'artisans et de commerçants au Maroc,* Paris : *Extraits de la ruve du monde muslman. Edition Emest*, le roux.

2. (R), PROSPER (1924), *« Artisans marocains* », in bulletin de l'enseignement public du Maroc, N 50, 11éme année, paris : Librairie Emile Larose.
3. Don Fernando Amor (1859)*, Recuerdos de un viaje a Marruecos*, Sevilla: Imprenta de Andalucia.
4. Joly, A (1906*), l'industrie à Tétouan*. Paris : Archives Marocaines, V 08.
5. R. Lourido Díaz (1972), «*Una Fábrica de cañones en Tetuán, a mediados del siglo XVIII*» , Madrid: en Rivsta de Histori Militar, 33.
6. ROSCOE ،Tho*, The tourist in Spain and Morocco* - I llustradted from Drawings by David Roberts, London, Printed by Maurice, Clark, and Co, Fenchurch street